المبادئ البنيوية الدسوسورية (الثنائيات)

البنيوية : تستمد البنيوبة اللسانية وجودها من مجموع جهود الأبحاث التي أنجزها دسوسير (1857- 1913) في مجال اللسانيات الحديثة ومن أهم هذه الجهود كتابه المشهور (محاضرات في اللسانيات العامة 1916) الذي يعتبر مرجعية هامة للباحثين في مجال اللسانيات و السيميولوجيا ، هذا بالإضافة إلى المبادئ أو الثنائيات التي طرحها هذا الأخير والتي لقيت صيتا في جميع المدارس البنيوية التي تلت هذه المدرسة ، حيث أجمع النقاد أن ثنائيات (لسان /كلام) (دال / مدلول) و(الآنية /الزمانية) و(الاقتران / والتركيب) وغيرها من الروئ التي شكلت الممهد الفكري للمنهج البنيوي الذي ترعرع في أحضان الفكر الشكلاني لتصل في الأخير إلى المدرسة الفرنسية ،وسرعان ما شغلت البنيوية حيزا كبيرا في مختلف الظواهر الثقافية في فرنسا ، لتصبح بذلك فرنسا عاصمة للثقافة البنيوية وقبلة هذا المنهج .

إذ استفاد النقد الأدبي من اللسانيات الحديثة التي جاء بها دسوسير والتي أصبحت مدرسة لغوية حديثة ونموذجا رائدا في مجال العلوم الإنسانية من حيث أنها أصبحت علما دقيقا يضاهي العلوم الطبيعية والرياضية في خضوعها للمنهج العلمي.

ومنه يمكن القول أن هذا المنهج النقدي الذي صار يصطلح عليه باسم المنهج البنيوي والذي يعبر محمد حناش عن نجاعته في دراسة وتناول التراث " ستمكن القارئ العربي من أن يضع نفسه في موضع قوة من حيث أنه سوف يتطرق إليه بأداة علمية مضبوطة ،يجعل تقديمه للآخرين بطرق سهلة تمكنه بدورهم من إعادة قراءة التراث ومسايرة ركب التطور"

إذ يعتبر دسوسير صاحب الفضل في دراسة اللغة دراسة بنيوية وذلك من خلال تحديده لخصائص الدليل اللساني و تحديده لمفهوم النظام والقيم ، بحيث اكتشف بأن المفردة اللغوية بنية فساماها بعلامة وقال" إن العلامة ليست بسيطة بل هي مكونة من مفهوم سماه مدلول وصورة سمعية سماها دال ، فالعلامة إذا ليست هي الدال بعينه ولا مدلول بذاته بل هي بنيتها ، وهذا متعلق بالمفردة ،وأضاف إليها نشاط أخر هو نشاط الربط والتنسيق " ، بحيث تصبح اللغة نظام من الاختلافات تحدد فيها العناصر تحديدا كليا من خلال علاقتها ببعضها البعض

كما إبتعد دسوسير عن النظر إلى اللغة من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة ، وأكد أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو أن يحاول وصفها كما هي في فترة زمانية محددة ، وأن نصل من هذا الوصف إلى القواعد والقوانين العامة التي يحكمها ،وأن نتوصل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها

منبع الفكر البنيوي :

لقد استمدت البنيوية جذورها الفلسفية من مثالية كانط kante التي تؤكد على أهمية العلاقات الداخلية للنسق الكامن في كل معرفة علمية وتسعى إلى تجاوز المظهر الذي تبدوا عليه المعرفة من أجل النفاذ إلى تركيبها الباطن وهو الأمر الذي أكدت عليه البينوية فيما بعد وبخاصة فيما يتعلق بمصطلح النسق ، والعلاقات الداخلية حيث أصبحا انطلاقا مقولات دسوسير عمود الدراسة البنيوية .

مفهوم البنيوية لغة : البنيوية مشتقة من كلمة بنية stucture وهي بدورها مشتقة من الكلمة اللاتينية structura التي هي مشتقة بدورها من الفعل الثلاثي strureب بمعنى بنى، وهي الهيئة والكيفية التي يوجد الشيء عليها ، والبناء لغويا ومعجميا هو الطريقة التي يتكون منها أي إنشاء .

البنيوية اصطلاحا : هي فلسفة ومنهج يهتم بالشكل والنموذج في أي مجال من مجالات المعرفة ، هذا بالإضافة إلى اهتمامها بالظاهرة بالكل ، من حيث أنها لا تهتم بدراسة الظواهر في طابعها المجزأ ، كما أنها تهتم بآنية الوقائع بدل تطورها .

مفهوم البنية :عرف جاب بياجه البنية : " هي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا ، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ،ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق "

ومن سمات البنية :

- أنها لا تتألف من عناصر خارجية ، بل تتكون من عناصر داخلية خاصة بقوانين مميزة للنسق .
- أنها تتحول ،فالبنية لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق بل دائما تقبل التغيرات .
- سمة الانتظام الذاتي : هو أن البنيات تنظم نفسها مما يحفظ لها وحدتها ،ويجعل لها قوانينها الخاصة

ومنه يكمن القول بأن البنية عند البنيويين هي نسق من العلاقات الباطنية التي تربط الأجزاء فيما بينها ضمن نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يقضي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغير النسق نفسه .

الثنائيات البنيوية الدسوسورية :

لسان /كلام : إن دسوسير حين هم بوضع أرضية للنظرية اللسانية ، اصطدم في الواقع بثلاثة مظاهر تتعلق بحقيقة اللغة البشرية .

1-اللغة (Langage) الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان ،وتجعله يتميز عما سواه من الكائنات الأخرى .

2- اللسان (Longue): النظام التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم – مستمع ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصياته ثقافية وحضارية معينة.

3-الكلام (Parole): هو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع

دال / مدلول : يظهر دسوسير من خلال تحليله للعلامات اللغوية أن هنا مكوينين اثنين للعلامة ، الأول هو الدال (الصورة الصوتية) ويمثل مجموع الفونيمات المشكلة للفظة ، أما المكون الثاني هو المدلول أي المفهوم والصورة الذهنية التي تستحضر في الذهن حين نتلفظ بالدال .

وهكذا فحين نستقبل لفظة " قط' المكونة من مجموع فونيمات "ق" و"ط" والتي هي دال يستحضر في الذهن فورا مفهوم أو فكرة قط . " فيسمى علامة لسانية هذا المركب من المفهوم والصورة السمعية "

الذي يستحيل الفصل بينهما ، لأنهما يرتبطان بعلاقة تواضعية ،ويرى دسوسير أن هذه العلاقة التي تربط الدال بالملول هي علاقة اعتباطية ، ويترتب على طابع الاعتباط طابع الوجوب ، بحيث إذا تم وضع هذه العلاقة داخل لغة معينة ،تصبح مفروضة على الجميع وليس بوسع أي فرد تغير هذا التكافؤ أو التوافق بين الدال والمدلول .

آني / زماني أو تطوري أو تاريخي : كانت اللسانيات السائدة في القرن 19 هي اللسانيات التاريخية ، ولم يكن هناك تميز بين الدراسة الآنية و الزمانية ، وإذا كان اللسان في نظر دسوسوير هو واقع قائم بذاته من جهة وتطور تاريخي من جهة أخرى .في ظل هذا التصور للسان يمكن لنا التميز بين النظام اللساني الآني ، أي السان في حالة زمنية محددة ، وبين تاريخ هذا النظام ، الأمر الذي جعل دسوسير يميز بين منهجين في التعامل مع الظاهرة اللغوية :

المنهج الأول : هو المنهج التاريخي الذي يهتم بالتحول المرحلي للسان عبر الحقب الزمانية المختلفة .

المنهج الثاني : هو المنهج الوصفي الذي يتناول الظاهرة كما هي في الواقع اللغوي .

ولذلك فإن اللسانيات في نظر دسوسير تتفرع إلى فرعين :

1 -لسانيات تاريخية ، تطورية : وهي الدراسة القائمة على تعقب المسار التطوري والتحولي للغة عبر التاريخ .

2 -لسانية آنية سكونية : وهي الدراسة التي تهتم بالنظام اللساني ذاته ، ومن أجل ذاته في حالة لغة بمعزل عن التاريخ

ثم رغبة منه في توصيل حقيقة هذه الثنائية ، يمثل لذلك بالدراسة التشريحية للنبات ، فهو يرى أننا إذا قطعنا نبتة ما قطعا طوليا (عموديا) ، فإننا نلاحظ نمو الألياف في حالة تطورية فقط ، أما إذا قطعناها قطعا أفقيا ، فإننا في هذه الحالة نتمكن من ملاحظة جميع الألياف في تجمعها على سطح معين ،وحصر العلاقات القائمة بينها ، ومن هنا فإن هذه الحقائق لا نستطيع إدراكها من القطع العمودي

كما يرى دسوسوير أن المقارنة بين الزماني والآني غير مفيدة في مسالة كيف تعمل اللغة بالنسبة للناس الذين يستخدمونها ، فالذي يمنح العلامات (المفردات) معانيها لجماعة من مستخدمي اللغة ، على سبيل المثال ، إنما هو نظام الاصطلاح اللغوي (Langue) ،وليس معرفة تاريخ تحول العلامات اللغوية لتكون ما هي عليه اليوم .

تركيب / إستبدال : تنتظم الكلمات في تتابع بواسطة علاقات يحددها النظام والتي تكون إما علاقة تركيبية أو استبدالية ، ما يميز العلاقة التركيبية عن الاستبدالية أنها تكون على المستوى الأفقي وتكون الوحدات فيها حاضرة في حين يكون الاستبدال على المستوى العمودي وتتصف الوحدات بصفة الغياب إذ تكون غائبة على مستوى التركيب لكنها حاضرة على مستوى الذهن ليختار منها المتكلم ما يراه مناسبا لتحقيق الغرض إذ تعد الضمائر مثلا وحدات استبدالية فيها بينها .

إذ يقول أمبرتو إيكو أن الوظيفة السيميائية تقوم على جدلية الحضور والغياب انطلاقا من هذه المقدمة البنيوية يمكن حل نظام العلامات بأكمله

يوضح الشكل التالي ثنائية التركيب والاستبدال :

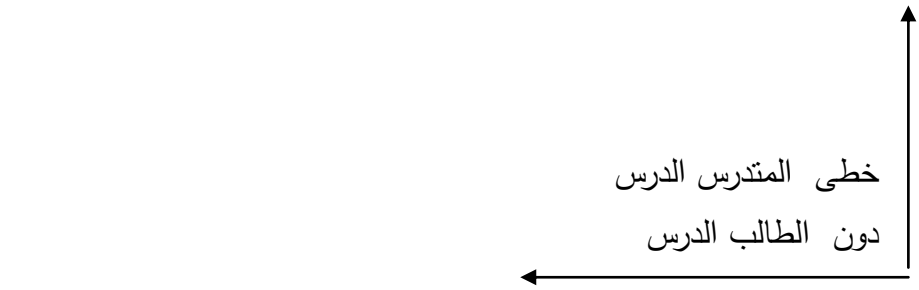

التركيب

إذ تعتبر خط وحدة استبدالية لكلمة دون و المتمدرس وحدة استبدالية لكلمة الطالب